

الحُبّ في الإسلام

كيف يحبك الله وكيف تحبه

تأليف

الشيخ
طه عبد الرءوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

الأستاذ
سامى حسنى
تخصص لغة عربية وعلوم إسلامية

الناشر
مكتبة العلم الإسلامية
٤ عطفة التشيلى من شارع السيد الدواخلى
أمام جامعة الأزهر - الحسين
ت: ٧٨٦٣٢٨٠ - ٠١٢/٤٧٧٢٩٨٢

الحب فى الإسلام

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٤٨١٨

الكمبيوتر والتصميم - أ/ هانى عادل حنفى

موبايل: ٠١٠٥٨٩٤٥١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم خلق الإنسان جعل له عقلا فعلمه البيان وهداه النجدين طريق السلامة ليتبعه وطريق الندامة ليجتنبه أوضح له الخير والنور واضحًا كشمس الظهيرة وحذره من طريق الظلم والظلام طريق الخفافيش التى لا تعيش إلا فى خرائب الظلمات.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر المطهر الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه حتى خاطبه بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

أما بعد ...

فإن هذا الكتاب الذى بين يديك يبشر ويحذر يبشر المؤمنين المتبعين طريق الحق وهو الحب الشرعى

بأن لهم من الله فضلا عظيما ويحذر الذين يتبعون الشهوات عن غير طريق الزواج بالقلق الكبير فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كتاب أنصحك أيها المسلم أيتها المسلمة بقراءته وأن تقرئه أولادك وامرأتك وأن تنصح غيرك من كل الأجناس ومن كل الأعمار صغارا كانوا أو كبارا أن يقرؤوه وأن يعملوا بما فيه حذارا من غضب الرب وطمعا فى ثوابه.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

المؤلفان

أولا: الحب فى القرآن الكريم

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أى اتبعوا الرسول ﷺ (آل عمران: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ﴾ (المائدة: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٦٥)

ويكفى أن نقول إن من أسماء الله الحسنى فى القرآن أنه الودود وهو الكثير الحب لعباده يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ (البروج: ١٤).

❖ ❖ ❖

١ - الله فى الإسلام يحب العدل:

جاء فى سورة الممتحنة الآية الثامنة: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(المائدة: ٨٧)

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٥).

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: ٩).

ويقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

(آل عمران: ٥٧)

ويقول جل جلاله: ﴿ إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

٢ - الله يحب الخير وعمله ولا يحب هؤلاء:

وفى ذلك يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾

(البقرة: ٢٠٥)

ويقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(المائدة: ٦٤)

ويقول: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ

كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١).

ويقول جل جلاله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأعراف: ٣١)

ويقول سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

ويقول سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠).

ويقول سبحانه وتعالى عن الإنسان: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨)

ويقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

٣ - الله يحب التوابين ويحب المتطهرين:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي

الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

(البقرة: ٢٢٢)

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٨).

٤ - الله يحب المؤمنين ويغفر لهم

وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آل عمران: ٣١)

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج: ٣٨).

ويقول تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (الروم: ٤٥).

٥ - الله يحب المتقين

وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ٧٦).

ويقول سبحانه: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ٤).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ٧).

٦ - الله محبة ويأمر بالأخوة

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

٧ - الله يحب الصابرين

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

٨ - الله يحب المحسنين

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٨).

ويقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

ويقول أيضا: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(آل عمران: ١٣٤)

ويقول سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

ويقول سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣).

٩ - الله يحب المتوكلين عليه سبحانه وتعالى:

يقول ربنا جل جلاله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

١٠ - الله يحب المتواضعين:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦).

ويقول سبحانه: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣).

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦) فرح البطر بلا شكر لله على نعمه.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

١١ - الله يحب (الأمناء):

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٧).

ويقول جل جلاله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨).

١٢ - الله محب للخير:

يقول تبارك وتعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨).

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٣).

❖ ❖ ❖

ثانيا: الحب فى السنة النبوية الشريفة

١ - قال ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ».

٢ - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تَحَابُّوا، أو لا أدلُّكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» (رواه مسلم).

٣ - وقال ﷺ: «تهادوا تحابوا» (رواه البيهقى فى سننه).

٤ - وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب رجلا لله فقد أحبه الله.. فدخلا جميعا الجنة، وكان الذى أحب لله أرفع منزلة، وألحق الذى أحبه لله»

(رواه الطبرانى والبزار بنحوه بإسناد حسن)

٥ - عن عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: «حقت محبتى للمتحابين فى، حقت محبتى للمتواصين فى، حقت

محبتى للمتباذلين فى. المتحابون فى على منابر من نور، يغبطهم بمكانتهم النبيون والصديقون والشهداء»

(رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم والقضاعى)

وفى رواية: «حقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى، وحقت محبتى للذين يتصادقون من أجلى»

(رواه الطبرانى فى الثلاثة المعجم الصغير والأوسط والكبير وأحمد بنحوه ورجال أحمد ثقات)

٦ – عن معاذ رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتى للمتحابين فىّ، والمتجالسين فىّ والمتزاورين فىّ، والمتباذلين فىّ»

(رواه مالك وغيره)

٧ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلُّهم فى ظلِّى يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلِّى

(رواه مسلم)

٨ – قال عليه الصلاة والسلام: «من أحبَّ أن يجد طعم الإيمان فليحبَّ المرء لا يحبه إلا لله »

(رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقرَّه الذهبى)

٩ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من سرَّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبَّ المرء لا يحبه إلا لله» (رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبى)

١٠ – عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلْقَى فى النار» (متفق عليه).

١١ – عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» (رواه أبو داود بسند حسن).

١٢ – قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه» (رواه البخارى ومسلم).

١٣ – عن أنس بن مالك قال: مر رجل بالنبى ﷺ وعنده ناس، فقال رجل ممن عنده: إنى لأحب هذا لله، فقال النبى ﷺ: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «قم إليه فأعلمه» فقام إليه فأعلمه، فقال: أحبَّك الذى أحببتنى له، ثم جلس فسأله النبى ﷺ فأخبره بما قال فقال النبى ﷺ: «أنت مع من أحببت، ولك ما احتسبت»

(رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبى)

١٤ - وقال ﷺ فى الحديث الشريف يوضح أسباب حبِّ الناس له حيث قال «أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضى عنه دينًا أو تطرد عنه جوعًا، ولئن أمشى مع أخ لى فى حاجة أحب إلى من أن أعتكف فى هذا المسجد شهرًا، فى مسجد المدينة، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام» (المعجم الصغير).

١٥ - قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادِّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم).

١٦ - عن سهل بن سعد الساعدى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»

(رواه ابن ماجه وغيره، والحديث صحيح)

١٧ - وعن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ،

بعث رجلاً على سريَّة، فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم، فيختِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص كلها) فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سَلُوهُ لأىِّ شىء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يُحبُّهُ» (متفق عليه)

١٨ - روى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه «أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرسل الله له على مدرجته ملكاً ... فقال إن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

١٩ - قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا: يا رسول الله! كلنا يكره الموت؟ قال: ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حُضر (أى رأى علامات الموت) جاءه البشير من الله، فليس شىء أحب إليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر أو الكافر إذا حُضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر، أو ما يلقى من الشر، فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه»

(سنده صحيح)

٢٠ - قال ﷺ: قال الله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى: «إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه، وإذا كره لقائى كرهت لقاءه»

(صحيح على شرط الشيخين البخارى ومسلم)

٢١ - قال ﷺ: «إن رجلا زار أخا له فى قرية، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه الملك قال: أين تريد؟ قال: أزور أخا لى فى هذه القرية، قال: هل عليك من نعمة (تربها)؟ قال: لا، إلا أنى أحببته فى الله، قال: فإنى رسول الله إليك إن الله عز وجل قد أحبك كما أحببته له»

(صحيح على شرط مسلم)

٢٢ - قال ﷺ: «ما من رجلين تحابا فى الله بظهر الغيب؛ إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبًّا لصاحبه»

(السلسلة الصحيحة ورجاله ثقات)

٢٣ - قال ﷺ: «ما تحاب رجلان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله عز وجل أشدهما حبا لصاحبه»

(السلسلة الصحيحة بسند صحيح)

٢٤ - قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فى الله فليبين له، فإنه خير فى الألفة، وأبقى فى المودة»

(السلسلة الصحيحة بسند حسن)

٢٥ - قال ﷺ: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا» (السلسلة الصحيحة بسند جيد)

٢٦ - قال ﷺ: «ما أحب عبد عبدا لله إلا أكرمه الله عز وجل» (السلسلة الصحيحة بسند جيد).

٢٧ - قال ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى المصحف» (السلسلة الصحيحة بسند حسن).

❖ ❖ ❖

حب الله تعالى

أما عن حبه تعالى فقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)

وعن أنس رضى الله عنه قال عن النبى ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف فى النار» (رواه البخارى ومسلم)، ولنشرح بعض الأحاديث.

قال محمد بن صالح العثيمين فى شرح رياض الصالحين فى شرح هذا الحديث قائلا:

«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان» من كن فيه يعنى من اتصف بهن.

«وجد بهن» يعنى بسببهن.

«حلاوة الإيمان» ليست حلاوة السكر والعسل، وإنما هى حلاوة أعظم من كل حلاوة، حلاوة يجدها الإنسان فى قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شىء يجد انشراحا فى صدره، ورغبة فى الخير وحبا لأهل الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها بعد أن حُرمها.

«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما». وهنا قال: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولم يقل ثم رسوله، لأن محبة الرسول عليه الصلاة والسلام هنا تابعة ونابعة من محبة الله سبحانه وتعالى.

فالإنسان يحب الرسول بقدر ما يحب الله، كلما كان لله أحب، كان للرسول ﷺ أحب..

ثم قال: عليك أن تحب الله ورسوله، وأن تكون محبتك للرسول ﷺ نابعة من محبة الله وتابعة لمحبة الله. (وأن تحب المرء لا تحبه إلا لله)، لا تحبه لقرابة، ولا لمال ولا لجاه، ولا لشىء من الدنيا، إنما تحبه لله.

أما محبة القرابة فهى محبة طبيعية، كل يحب قريبه محبة طبيعية، حتى البهائم تحب أولادها، تجد الأم من البهائم والحشرات تحب أولادها حتى يكبروا ويستقلوا بأنفسهم، ثم تبدأ فى طردهم.

لكن إذا كان قريبك من عباد الله الصالحين فأحببته فوق المحبة الطبيعية فأنت أحببته لله.

«أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف فى النار» يعنى يكره أن يرجع من الكفر بعد أن أنقذه الله منه.

وهذه ظاهره فيمن كان كافرا ثم أسلم، لكن من ولد فى الإسلام فيكره أن يكون فى الكفر بعد أن منَّ الله عليه بالإسلام كما يكره أن يقذف فى النار، يعنى أنه لو قذف فى النار لكان أهون عليه من أن يعود كافرا بعد إسلامه، وهذا والحمد لله حال كثير من المؤمنين، فكثير من المؤمنين لو قيل له: تكفر أو نلقيك من أعلى شاهق فى البلد أو نحرقك لقال: أحرقونى، ألقونى من أعلى شاهق ولا أرتد بعد إسلامى. والمراد بالردة الحقيقية التى تكون فى القلب، أما من أُكره على الكفر فكفر ظاهرا لا باطنا، بل قلبه مطمئن بالإيمان، فهذا لا نعيره لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ

أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ (النمل: ١٠٦، ١٠٧) انتهى.

ومن الأحاديث النبوية أيضا التى تدل على محبة الله والحث عليها حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنى أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

قال ابن صالح العثيمين فى شرح رياض الصالحين، فى شرح الحديث قائلا: «رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» يعنى أنهما جرت بينهما محبة، لكنها محبة فى الله، لا فى مال ولا جاه، ولا نسب ولا أى شىء، إنما هو محبة الله عز وجل، رآه قائما بطاعة الله متجنبا لمحارم الله، فأحبه من أجل ذلك، فهذا هو الذى يدخل فى هذا الحديث «تحابا فى الله».

وقوله: «اجتمعا عليه وتفرقا عليه» يعنى اجتمعا عليه فى الدنيا وبقيت المحبة بينهما حتى فرق بينهما الموت تفرقا

وهما على ذلك، وفى هذا إشارة إلى أن المتحابين فى الله لا يقطع محبتهم فى الله شىء من أمور الدنيا، وإنما هم متحابون فى الله لا يفرقهم إلا الموت، حتى لو أن بعضهم أخطأ على بعض، أو قصَّر فى حق بعض، فإن هذا لا يهمهم، لأنه إنما أحبه لله عز وجل، ولكنه يصحح خطأه، ويبين تقصيره، لأن هذا من تمام النصيحة. انتهى.

ومن الأحاديث التى تحث على المحبة فى الله وفضلها عند الله، حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى» (رواه مسلم).

وفى محبة الله تعالى ذكر الشيخ القرضاوى فى كتابه (فى الطريق إلى الله) قائلا: من ثمار التوبة الحصول على محبة الله تعالى، فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

والحصول على محبة الله تعالى ليس بالأمر الهين، ولا الكسب الضئيل إنها شىء كبير لا يقادر قدره، ولا يعرفه إلا أهله.

وإذا كان الناس يسعون جهدهم، ويبذلون وسعهم، للحصول على محبة رئيس أو أمير أو ملك، أو غيرهم من

كبراء الدنيا، فإذا ظفر بذلك اعتبر نفسه قد فاز فوزا عظيما، وفاخر بهذه المحبة أقرانه، مع أن هذا الرئيس، أو الأمير لا يستطيع أن يزيد فى رزقه درهما لم يكتبه الله له، ولا أن يؤخر أجله ساعة ليست من عمره، ولا يملك أن يهب له سكينة فى قلبه، أو راحة لضميره، أو صلاحا لذريته، أو قرة عين بزوجه، أو نحو ذلك من طيبات الحياة التى لا يجدها الملوك أنفسهم، فكيف يهبونها لغيرهم، وفاقد الشىء لا يعطيه.

إن المسلم يرنو بعينه، ويهفو بقلبه، ويسعى بجهده لكى يرتقى إلى محبة الله تعالى، لكى يكون محبوبا لله رب العالمين، وأى منزلة أسمى من هذه المنزلة التى عبر عنها الحديث القدسى الشريف الذى رواه البخارى: «وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ... ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه» وإنما يحب الله التوابين. لأنه يكره من عباده الشرود عنه، والبعد عن ساحته، والوقوع فى أسر عدوه الشيطان، ويحب منهم أن يرجعوا إليه، ويقفوا على بابه، وإن عصوه وقصروا فى حقه جل شأنه، فبابه لهم مفتوح، ويده لهم مبسوطة أبدا، يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار،

ويبسط يده بالنهار ليتوبَ مسيء الليل، ولا يردهم عن عتبته، ويناديهم ﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ .

ومن ناحية أخرى نجد التائب - بعد تورطه فى معصية الله - يشعر بشدة الحاجة إليه، والافتقار إلى رحمته، والانكسار بين يديه، وعمق الإحساس بحقيقة العبودية له، وغاية الخضوع لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ومن هنا قال العارفون: إن عبودية التوبة من أحب العبوديات إلى الله تعالى وأكرمها عليه، فإنه سبحانه يحب التوابين . انتهى.

وقال جعفر الخلدى قال: سمعت الجنيد يقول: قال رجل لسَرِيٍّ السقطى: كيف أنت فأنشأ يقول:

مَن لم يبت والحُبُّ حشو فؤاده
لم يدر كيف تُفَتَّت الأكباد

وقال أبو القاسم الواعظ قال: سمعت أبا دجانة يقول: كانت رابعة إذا غلب عليها حال الحب تقول:

تعصى الإله وأنت تظهر حُبَّه
هذا محال فى الفعال بديع
لو كان حُبُّك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحبُّ مطيع

المحبة الصادقة لله توحيده

قال ابن قيم الجوزية: لا يمكن أن يجتمع فى القلب حب المحبوب الأعلى، وعشق الصور كحب الرجال للنساء والنساء للرجال أبدا، بل هما ضدان لا يتلاقيان، بل لا بد أن يُخرج أحدهما صاحبه. فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الأعلى الذى محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ما سواه وإن أحب لم يحبه إلا لأجله، أو لكونه وسيلة إلى محبته، أو قاطعا له عما يضاد محبته وينقصها.

والمحبة الصادقة تقتضى توحيد المحبوب، وأن لا يشرك بينه وبين غيره فى محبته، وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك معه محبة غيره فى محبته، ويمقته لذلك، ويبعده ولا يحظيه بقربه، ويعده كاذبا فى دعوى محبته، مع أنه ليس أهلا لصرف كل قوة المحبة إليه، فكيف بالحبيب الأعلى الذى لا تبتغى المحبة إلا له وحده، وكل محبة لغيره فهى عذاب على صاحبها ووبال. ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به فى هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

ومن أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه ابتلاه بمحبة غيره، فيعذبه بها فى الدنيا وفى البرزخ [1]، وفى الآخرة، فإما أن يعذبه بمحبة الأوثان، أو بمحبة الصلبان، أو بمحبة المردان (الصبيان)، أو بمحبة النسوان، أو محبة العشراء والإخوان، أو محبة ما دون ذلك مما هو فى غاية الحقارة والهوان، فالإنسان عبد محبوبه كائنا من كان. كما قيل:

أنت القتيل بكل من أحببته

فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى

أى إذا أُهلكت فى الحب فليكن المحبوب من يستحق فمن لم يكن إلهه مالكه ومولاه كان إلهه هواه. قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

❖ ❖ ❖

(١) من يوم أن يموت حتى تقوم القيامة.

مراتب الحب وخصائصها

قال ابن قيم الجوزية فى كتابه: «الداء والدواء» عن مراتب الحب: فإن أول مراتبه: العلاقة، وسميت علاقة لتعلق المحب بالمحبوب.

قال الشاعر:

وعلقت ليلى وهى ذات تمائم

ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

ثم بعدها الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب إلى المحبوب.

قال الشاعر:

يشكى المحبون الصبابة، ليتنى

تحملت ما يلقون من بينهم وحدى

فكانت لقلبى لذة الحب كلها

فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى

ثم الغرام، وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه، ومنه سمى الغريم غريمًا لملازمته صاحبه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥) أى النار عياذا بالله منها.

وقد أولع المتأخرون باستعمال هذا اللفظ فى الحب. وقلَّ أن تجده فى أشعار العرب.

ثم العشق: وهو إفراط المحبة ولهذا لا يوصف به الرب - تبارك وتعالى -، ولا يليق فى حقه.

ثم الشوق: وهو سفر القلب إلى المحبوب أحث السفر وقد جاء إطلاقه فى حق الرب تعالى، كما فى «مسند الإمام أحمد» عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما: «أنه صلى صلاة فأوجز فيها، فقيل له فى ذلك فقال: أما إنى دعوت فيها بدعوات كان النبى ﷺ يدعو بهن: «اللهم إنى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحينى إذا كانت الحياة خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى، اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا وأسألك القصد فى الفقر والغنى وأسألك نعيمًا لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم وأسألك **(الشوق)** إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»

(أخرجه أحمد فى مسنده)

وفى أثر آخـر: «طال شـوق الأبرار إلى لقـائى وأنا إلى لقائهم أشد» وهذا هو المعنى الذى عبر عنه ﷺ بقوله: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»

(البخارى ومسلم فى صحيحيهما)

وقال بعض أهل البصائر فى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: ٥).

لما علم سبحانه وتعالى شدة شوق أوليائه إلى لقائه، وأن قلوبهم لا تهتدى دون لقائه، ضرب لهم أجلا وموعدا للقائه، تسكن نفوسهم به، وأطيب العيش وألذه على الإطلاق عيش المحبين المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هى الحياة الطيبة فى الحقيقة، ولا حياة للقلب أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها، وهى الحياة الطيبة فى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)

ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح، بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه فى ذلك، أضعافا

مضاعفة، وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا أن يحييه حياة طيبة، فهو صادق الوعد الذى لا يخلف وعده، وأى حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت همّاً واحدا فى مرضاة الله، ولم يتشعب قلبه، بل أقبل على الله، واجتمعت إرادته وأفكاره التى كانت منقسمة بكل واد منها شعبة على الله فصار ذكره بمحبوبه الأعلى، وحبه والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه هو المستولى عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده، بكل خطرات قلبه، فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشى، وبه يسكن، وبه يحيا، وبه يموت، وبه يُبعث.

كما فى صحيح البخارى عنه ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى [1] أنه قال: «ما تقرب إلىَّ عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، فبى يسمع، وبى يبصر، وبى يمشى، ولئن سألنى لأعطينه،

(١) أى فى الحديث القدسى.

ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت فى شىء أنا فاعله، كترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه» (أخرجه البخارى فى صحيحه).

فتضمن هذا الحديث الشريف - الإلهى الذى حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به، حصر أسباب محبته فى أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل.

وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب ما يتقرب به إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يكثر النوافل حتى يصير محبوبا لله، فإذا صار محبوبا لله أوجبت محبته لله له محبة أخرى منه لله فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه ألبتة، فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق فى محبته التى قد اجتمعت قوى محبة حبه كلها له.

فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق، وانقلبت عليه المخاوف فى حقه أمانا، فبالله يهون كل صعب، ويسهل كل عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزول الهموم والغموم،

والأحزان، فلا همَّ مع الله، ولا غم، ولا حَزَن، إلا حيث يفوته معنى هذه المحبة فيصير قلبه حينئذ كالحوت، إذا فارق الماء يثب ويتقلب حتى يعود إليه.

ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه تعالى فى محابه؛ حصلت موافقة الرب لعبده فى حوائجه ومطالبه، فقال: «ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه» أى: كما وافقنى فى مرادى بامتثال أوامرى، والتقرب بمحابِّى، فأنا أوافقه فى رغبته ورهبته فيما يسألنى أن أفعله به ويستعيذنى أن يناله، وقوى أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى ذلك تردد الرب سبحانه فى إماتة عبده، لأنه يكره الموت، والرب تعالى يكره ما يكرهه عبده ويكره مساءته، فمن هذه الجهة يقتضى أن لا يميته ويكون مصلحته فى إماتته، فإنه ما أماته إلا ليحيه، ولا أمرضه إلا ليصحه، ولا أفقره إلا ليغنيه، ولا منعه إلا ليعطيه، ولم يخرج من الجنة فى صلب أبيه (آدم) إلا ليعيده إليها على أحسن أحواله، ولم يقل لأبيه (اخرج منها) إلا وهو يريد أن يعيده إليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه، بل لو كان فى كل منبت شعرة من العبد محبة تامة لله لكان بعض ما يستحقه على عبده.

نقِّل فـؤادك حـيث شـئت من الهـوى
مـا الحب إلا للحـبـيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفـه الفـتى
وحـنـيـنـه أبـدا لأول مـنـزل

ثم التتيم يقال: هو متيم بالمحبوب: وهو تعبد المحب لمحبوبه، يقال: تيمه الحب، إذا عبَّده، ومنه: تَيْمُ الله، أى عبد الله، وحقيقة التعبد: الذل والخضوع للمحبوب، ومنه قولهم: طريق معبد أى: مذلل قد ذللته الأقدام، فالعبد هو الذى ذلله الحب، والخضوع لمحبوبه، ولهذا كانت أشرف أحوال العبد ومقاماته هى العبودية، فلا منزل له أشرف منها..

وقد ذكر الله سبحانه أكرم الخلق عليه وأحبهم إليه، وهو رسوله محمد ﷺ بالعبودية فى أشرف مقاماته، وهى مقام الدعوة إليه، ومقام التحدى بالنبوة، ومقام الإسراء، فقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ (الجن: ١٩) وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٣).. وقال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾(الإسراء: ١).

وفى حديث الشفاعة: «اذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»

(أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما)

فنال مقام الشفاعة بكمال عبوديته، وكمال مغفرة الله له، والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، التى هى أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو حقيقة الإسلام وملة إبراهيم التى من رغب عنها فقد سفه نفسه. قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

(البقرة: ١٣٠)

❖ ❖ ❖

الشرك فى المحبة

قال ابن قيم الجوزية: أصل الشرك بالله، الإشراك فى المحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾

(البقرة: ١٦٥)

فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به ندا، (شريكا) يحبه كما يحب الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبّاً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم.

وقيل: بل المعنى أنهم أشد حبّاً لله، فإنهم وإن أحبوا الله، لكن لما شركوا بينه وبين أندادهم فى المحبة ضعفت محبتهم لله، والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت أشد من محبة أولئك، والعدل برب العالمين، والتسوية بينه وبين الأنداد هو فى هذه المحبة كما تقدم.

ولما كان مراد الله من خلقه هو خلوص هذه المحبة له، أنكر على من اتخذ من دونه وليا أو شفيعا غاية الإنكار، وجمع ذلك تارة، وأفرد أحدهما عن الآخر تارة، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس: ٣).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: ٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ٥١).

وقال فى الإفراد: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾

(الزمر: ٤٣، ٤٤)

وقال تعالى: ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(الجاثية: ١٠)

فإذا والى العبد ربه وحده أقام له الشفعاء، وعقد الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه فى الله، بخلاف من اتخذ مخلوقا وليّاً من دون الله.

فهذا لون وذاك لون، كما أن الشفاعة الشركية الباطلة لون، والشفاعة الحق الثابتة التى إنما تُنال بالتوحيد لون،

وهذا موضع فرْقان بين أهل التوحيد وأهل الإشراك، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.



أنواع المحبة

المحبة الأولى: هى محبة الله، وهى لا تكفى وحدها فى النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين واليهود وغيرهم يحبون الله.

المحبة الثانية: وهى محبة ما يحبه الله، وهذه هى التى ترضى الرب، وتُخرج من الكفر، وتدخل الإسلام، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

المحبة الثالثة: الحب لله وفيه، وهى من لوازم محبة ما يحب ، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا فيه وله.

المحبة الرابعة: المحبة مع الله، وهى المحبة الشركية، وكل من أحب شيئا مع الله، لا لله، ولا من أجله ولا فيه، فقد أتخذه نداً من دون الله، وهذه محبة المشركين.

المحبة الخامسة: وهى المحبة الطبيعية، وهى ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد والأموال، فتلك لذة لا تُذَمُّ إلا

إذا ألهت عن ذكر الله، وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (المنافقون: ٩) وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (النور: ٣٧).

المحبة السادسة: الخلة: وهى أكبرها وأعظمها أثرا، وهى تتضمن كمال المحبة، ونهايتها، بحيث لا يبقى فى القلب سعة لغير محبوبه، وهى منصب لا يقبل المشاركة بوجه مًّا، وهذا المنصب خاص للخليلين - صلوات الله وسلامه عليهما -: محمد وإبراهيم، كما قال ﷺ: « إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا» (أخرجه مسلم فى صحيحه).

وعنه ﷺ قال: « لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله»

(أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما)

وفى حديث آخر قال ﷺ: «إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته» (أخرجه مسلم فى صحيحه).

ولما سأل إبراهيم عليه السلام الولد فأُعطيه، وتعلق حبه بقلبه، فأخذ منه شعبة، غار الحبيب على خليله أن يكون فى قلبه موضع لغيره، فأمره بذبحه، وكان الأمر فى المنام ليكون

تنفيذ المأمور به أعظم ابتلاء وامتحانا، ولم يكن المقصود ذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب، فلما بادر الخليل عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال، وقدم محبة الله على محبة ولده، حصل المقصود فرُفع الذبح، وفُدى الولد بذِبْح عظيم، فإن الرب تعالى أمر بشىء ثم أبطله رأسا، بل لا بد أن يبقى بعضه أو بدله، كما أبقى شريعة الفداء، وكما أبقى استحباب الصدقة بين يدى المناجاة، وكما أبقى الخمس صلوات بعد رفع الخمسين، وأبقى ثوابها وقال: «لا يبدل القول لدى، هى خمس فى الفعل، وهى خمسون فى الأجر»

(أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما)

❖ ❖ ❖

الحب أصل كل عمل

وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، وكل إرادة تمنع كمال حب الله ورسوله وتزاحم هذه المحبة أو شبهة تمنع كمال التصديق فهى معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له، فإن قويت حتى

عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفرا أو شركا أكبر، وإن لم تعارضه قدحت فى كماله، وأثرت فيه ضعفا وفتورا فى العزيمة والطلب، وهى تحجب الواصل وتوقع الطالب، وتنكس الراغب، فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة، كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٧٥ – ٧٧).

فلم يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾

(الممتحنة: ٤)

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٢٦ – ٢٨).

أى جعل هذه الموالاة والبراء من كل معبود سواه كلمة باقية فى عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهى كلمة: لا إله إلا الله، وهى التى ورَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة.

❖ ❖ ❖

علامات حب الله تعالى للعبد

١ - قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(آل عمران: ٣١)

يقول ابن قيم الجوزية: لكل شىء علامة، ومحبة الله للعبد لها علامة، منها كون الإنسان متبعا لرسول الله ﷺ، فإنه كلما كان الإنسان لرسول الله ﷺ أتبع، كان لله أطوع، وكان أحب إلى الله تعالى.

وهذه الآية تسمى عند السلف آية الامتحان، يُمتَحن بها من ادعى محبة الله، فينظر إذا كان يتبع الرسول عليه الصلاة والسلام، فهذا دليل على صدق دعواه.

وإذا أحب الله أحبه الله عز وجل ولهذا قال: ﴿فَاتَّبِعُونِي

﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وهذه ثمرة جليلة، أن الله تعالى يحبك؛ لأن الله تعالى إذا أحبك نلت بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

٢ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لى وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه» (رواه البخارى).

قال ابن قيم الجوزية: من عادى لى وليا: يعنى صار عدوا لولى من أوليائى فإننى أعلن عليه الحرب، يكون حربا لله، الذى يكون عدوا لأحد من أولياء الله فهو حرب لله والعياذ بالله.

ولكن من هو ولى الله؟ ولى الله بيَّنه سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٢ - ٦٣).

هؤلاء هم أولياء الله، فمن كان مؤمنا تقيا كان لله وليّاً،

هذه هى الولاية، وليست الولاية أن يخشوشن الإنسان فى لباسه، أو أن يترهبن أمام الناس، أو أن يخنع رأسه.

بل الولاية الإيمان والتقوى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فمن عادى هؤلاء فإنه حرب لله والعياذ بالله.

٣ - أداء الفرائض: قال الله عز وجل فى الحديث القدسى السابق: «وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه» يعنى أحب ما يحب الله الفرائض، فالظهر أحب إلى الله من راتبة الظهر، والمغرب أحب إلى الله من راتبة المغرب، والعشاء أحب إلى الله من راتبة العشاء، والفجر أحب إلى الله من راتبة الفجر، والصلاة المفروضة أحب إلى الله من قيام الليل، كل الفرائض أحب إلى الله من النوافل، والزكاة أحب إلى الله من الصدقة، وحج الفريضة أحب إلى الله من حج التطوع، كل ما كان أوجب فهو أحب إلى الله عز وجل.

٤ - كثرة النوافل: ومن أسباب محبة الله وعلاماتها، أن تكثر من النوافل ومن التطوع، نوافل الصلاة، نوافل الصدقة، نوافل الصوم، نوافل الحج، وغير ذلك من النوافل، وهذا

ما أشار إليه رب العزة سبحانه فى حديثه القدسى «وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه».

فلا يزال العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه الله، فإذا أحبه الله كان سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سأله ليعطينه، ولئن استعاذه ليعيذنه.

«كنت سمعه» يعنى أننى أسدده فى سمعه، فلا يسمع إلا ما يرضى الله، « وبصره » أسدده فى بصره، فلا يبصر إلا ما يحب الله، « ويده التى يبطش بها » فلا يعمل بيده إلا ما يرضى الله، «ورجله التى يمشى بها» فلا يمشى برجله إلا لما يرضى الله عز وجل، فيكون مسدَّدا فى أقواله وفى أفعاله.

«ولئن سألنى لأعطينه» هذه من ثمرات النوافل ومحبة الله عز وجل، أنه إذا سأل الله أعطاه «ولئن استعاذنى» يعنى استجار بى مما يخاف من شره «لأعيذنه» فهذه من علامة محبة الله، أن يسدد الإنسان فى أقواله وأفعاله، فإذا سُدد دل ذلك على أن الله يحبه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا

قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

قال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبى ﷺ، وعلامة حب النبى ﷺ حب السُّنة، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبى ﷺ وحب السُّنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها غير الزاد والبُلْغة ما يساعده على الحياة.

وروى أبو الدرداء عن رسول الله فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ قال: « على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس » (أخرجه الترمذى)

ورُوى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث وأداء الأمانة، وألا يؤذى جاره»..

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إنى أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول فى الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا

جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء فى الأرض».

وقال شمس الدين القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن فى تفسير قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى صدقوا. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أى حبا فى قلوب عباده.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أعطى المؤمن الألفة والملاحة والمحبة فى صدور الصالحين والملائكة المقربين - ثم تلا - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

واختلف فيمن نزلت، فقيل فى على رضى الله تعالى عنه، روى البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب: «قل يا على اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى قلوب المؤمنين مودة» فنزلت الآية.. ذكره الثعلبى. والله أعلم.

وقال ابن عباس: نزلت فى عبد الرحمن بن عوف. جعل الله تعالى له فى قلوب العباد مودة ما لا يلقاه مؤمن إلا وقره، ولا مشرك ولا منافق إلا عظمه.

وكان هَرم بن حيَّان يقول: ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم. وقيل: يجعل الله تعالى لهم مودة فى قلوب المؤمنين والملائكة يوم القيامة.

فإذا كان الإنسان محبوبا فى الدنيا فهو كذلك فى الآخرة، فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمنا تقيا، ولا يرضى إلا خالصا نقيا، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه.

وكذلك من علامات حب الله تعالى للعبد: محبة كلام الله، قال ابن قيم الجوزية: محبة كلام الله من علامة محبة الله، وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك والالتذاذ بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهى والغناء المطرب بسماعهم، فإن من المعلوم أن من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شىء إليه، كما قيل:

إن كنت تزعم حبى   فلِمَ هجرت كتابى؟
أما تأملت ما فيـــ   ـــه من لذيذ خطابى

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه: «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله» وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه؟.

وقال النبى ﷺ يوما لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «اقرأ علىَّ» فقال: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ فقال: «إنى أحب أن أسمعه من غيرى» فاستفتح فقرأ سورة النساء حتى إذا بلغ قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، قال: «حسبك» (أى يكفيك ذلك) فرفع رأسه فإذا عينا رسول الله ﷺ تذرفان من البكاء»

(أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما)

وكان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى يقولون: يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ، وهم يستمعون، فلمحبى القرآن من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما لمحبى السماع الشيطانى، فإذا رأيت الرجل ذوقه وشدة وجده وطربه وشوقه إلى سماع الأبيات دون سماع الآيات، وسماع الألحان دون سماع القرآن، كما قيل: تُقرأ عليك الختمة وأنت جامد كالحجر، وبيت من الشعر يُنشَد فتميل كالسكران، فهذا أقوى الأدلة على فراغ قلبك من محبة الله وكلامه، وتعلقه بمحبة سماع الشيطان، والمغرور يعتقد أنه على شىء.

محبة الله هى المحبة النافعة

قال ابن قيم الجوزية: اعلم أن أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها محبة من جُبلت القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تأليهه، وبها قامت الأرض والسموات وعليها فطرت المخلوقات وهى سر شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذى تأله القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل له والخضوع والتعبد، والعبادة لا تصلح إلا له وحده، والعبادة هى كمال الحب مع كمال الخضوع والذل، والشرك فى هذه العبودية من أظلم الظلم الذى لا يغفره الله، والله تعالى يُحَبُّ لذاته من جميع الوجوه، وما سواه فإنما يُحَبُّ تبعالمحبته.

فكل من تحبه من الخلق ويحبك إنما يريدك لنفسه وغرضه منك، والله سبحانه وتعالى يريدك لك، كما فى الأثر الإلهى: «عبدى كل يريدك لنفسه، وأنا أريدك لك» فكيف لا يستحيى العبد أن يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره، قد استغرق قلبه بمحبة ما سواه؟

وأيضا فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك، ولا بد له من نوع من أنواع الربح، والرب تعالى إنما يعاملك لتربح أنت عليه أعظم الربح وأعلاه، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والسيئة بواحدة وهى أسرع شىء محوًا.

وأيضا فهو سبحانه خلقك لنفسه، وخلق كل شىء لك فى الدنيا والآخرة فمن أولى منه باستفراغ الوسع فى محبته، وبذل الجهد فى مرضاته.

وأيضا فإن مطالبك، بل مطالب الخلق كلهم جميعا لديه، وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، أعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر القليل من العمل وينميه، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه، يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين، بل يحب الملحين فى الدعاء، ويحب أن يُسأل، ويغضب إذا لم يُسأل، يستحى من عبده حيث لا يستحى العبد منه، ويستره حيث لا يستر نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه، دعاه بنعمه وإحسانه، وناداه إلى كرامته ورضوانه فأبى، فأرسل رسله فى طلبه، وبعث إليه معهم عهده، ثم نزل إليه سبحانه وقال: «من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له» كما قيل: «أدعوك وللوصل تأبى، أبعث رسولى فى الطلب، أنزل إليك ألقاك فى النوم».

وكيف لا تحب القلوب من لا يأتى بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات، ويغفر الخطيئات، ويستر العورات، ويكشف الكربات، ويغيث اللهفان، وينيل الطلبات سواه.

فهو أحق من ذُكر، وأحق من شُكر، وأحق من عبد، وأحق من حُمد، وأنصر من ابتُغى، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استرحم، وأكرم من قُصد، وأعز من التجئ إليه، وأكفى من توكل العبد عليه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأشد فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها.

وهو الملك لا شريك له، والفرد فلا ند له، كل شئ هالك إلا وجهه، لن يُطاع إلا بإذنه، ولن يُعصى إلا بعلمه، يُطاع فيشكر، وبتوفيقه ونعمه أطيع، ويُعصَى فيغفر، ويعفو وحقه أضيع، فهو أقرب شهيد، وأجلُّ حفيظ، وأوفى بالعهد ، وأعدل قائم بالقسط، حال دون النفوس وأخذ بالنواصى، وكتب الآثار، ونسخ الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب لديه مكشوف، وكل أحد إليه ملهوف، وعنت الوجوه لنور وجهه، وعجزت القلوب عن إدراك كنهه، ودلت الفطَر والأدلة كلها على امتناع مثله وشبهه، أشرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له الأرض والسموات، وصلحت عليه جميع المخلوقات لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»

(رواه مسلم فى صحيحه)

داء العشق
عشق الرجال للنساء والنساء للرجال

ونختم كتيبنا هذا بباب فى العشق وآفاته أو ما يسمى بعشق الصور، لبيان أثره وأضراره الفتاكة والتى غالبا ما تخرج بصاحبها فى النهاية من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر والعياذ بالله فى غفلة وعدم إدراك من بعض الذين أصيبوا بهذا الداء دون أن يشعروا بذلك.

قال ابن قيم الجوزية: إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهما النساء واللوطية.

فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التى صار إليها يوسف ببره وعفته وتقواه، مع أن الذى ابتلى به أمر لا يصبر عليه إلا من صبَّره الله، فإن مواقعة الفعل بحسب قوة الداعى وزوال المانع، وكان من الداعى هاهنا غاية القوة وذلك من وجوه:

أحدها: ما ركبه الله سبحانه فى طبع الرجل من ميله إلى المرأة كما يميل العطشان إلى الماء، والجائع إلى الطعام حيث إن كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء، وهذا لا يُذم إذا صادف حلالا، بل يحمد كما فى كتاب الزهد للإمام أحمد من حديث يوسف بن عطية الصفار عن ثابت البنانى عن أنس عن النبى ﷺ: «حبب إلىَّ من دنياكم النساء والطِّيب أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن» وقد جُعلت قرة عينه ﷺ فى الصلاة.

الثانى: أن يوسف عليه السلام كان شابا، وشهوة الشاب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان عزبا، لا زوجة له ولا سرية، تكسر قوة الشهوة عنده.

الرابع: أنه كان فى بلاد غربة، يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى له فى وطنه وبين أهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث إن كل واحد من هذين الأمرين يدعوان إلى مواقعتها.

السادس: أنها غير ممتنعة ولا أبية، فإن كثيرا من الناس يزيل رغبته فى المرأة إباؤها وامتناعها، لما يجد فى نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها، وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع إرادة وحبا، كما قال الشاعر:

وزادنى كلفــــا فى الحب أن منعت

أحبُّ شىء إلى الإنســان مــا مُنعــا

السابع: أنها طلبت وأرادت وراودت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها، بل كانت هى الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: أنه فى دارها وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعى الرغبة والرهبة.

التاسع: أنه لا يخشى أن تنم عليه هى، ولا أحد من جهتها، فإنها هى الطالبة الراغبة، وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنه كان فى الظاهر مملوكا لها فى الدار، بحيث يخرج ويدخل ويحضر معها، ولا يُنكر عليه.

الحادى عشر: أنها استعانت عليه بنساء صاحبات مكر فأرته إياهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣).

الثانى عشر: أن الزوج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما، ويبعد كلا منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قابلها به أن قال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وللمرأة ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

الطائفة الثانية وهى فى اللوطية:

قال ابن قيم الجوزية: الطائفة الثانية، الذين حكى الله عنهم العشق، هم اللوطية، كما فى قصة قوم لوط قال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(الحجر: ٦٧ - ٧٢)

فهذه الأمة عشقت، فحكاه سبحانه عن طائفتين، عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور، ولم يبال بما فى عشقه من الضرر..

وهذا داء أعيا الأطباء دواؤه، وعز عليهم شفاؤه وهو لعمر الله الداء العضال، والسم القتال، الذى ما علق بقلب إلا وعز على الورى خلاصه من إساره، ولا اشتعلت ناره فى مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

❖ ❖ ❖

دواء العشق

ودواء هذا الداء القتال أن يعرف أن ما ابتُلى به من هذا الداء المضاد للتوحيد إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله تعالى، فعليه أن يعرف توحيد ربه وسننه أولا، ثم يأتى من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجأ والتفرع إلى الله سبحانه فى صرف ذلك عنه، وأن يراجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص

لله، وهو الدواء الذى ذكره الله فى كتابه حيث قال: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)

فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص، وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ كما قال:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبًا خاليًا فتمكّنا

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة، فإن تلك ذنب كبير، لفاعله حكم أمثاله، ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك، وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول: لأن أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلى من أبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبى ويشغله عن الله.

❖ ❖ ❖

آفات العشق وأضراره

قال ابن قيم الجوزية: من المعلوم أنه ليس فى عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

الأول: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع فى القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما الآخر، ويكون السلطان والغلبة له.

الثانى: عذاب قلبه به، فإن من أحب شيئا غير الله عُذب به ولا بد.

الثالث: أن قلبه أسير فى قبضة غيره يسومه الهوان، ولكن لسكرته لا يشعر بمصابه.

الرابع: أنه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شئ أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور العشق بين الرجال والنساء.

الخامس: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار فى يابس الحطب.

السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه أفسد الذهن وأحدث الوسواس وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها.

السابع: أنه ربما أفسد الحواس أو بعضها، إما إفسادا معنويا أو صوريًا، أما الفساد المعنوى فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسنا من معشوقه، كما فى «المسند» مرفوعا «حبك الشئ يُعْمِى ويُصِمُّ» فهو يعمى عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه.

وأما فساد الحواس.ظاهرا فإنه يُمرض البدن وينهكه،

وربما أدى إلى تلفه، كما هو المعروف من أخبار من قتلهم العشق.

الثامن: أن العشق كما تقدم هو الإفراط فى المحبة، بحيث يستولى المعشوق على قلب العاشق، حتى لا يخلو من تخليه وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك فيعجز البشر عن إصلاحه.

قال الإمام أحمد: من دعاك إلى غير التزوج فقد دعاك إلى غير الإسلام ولقد تزوج رحمه الله فى اليوم الثانى من وفاة امرأته وقال: «أكره أن أبيت عزباً» وكان ابن مسعود يقول: لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج حتى لا ألقى الله عزبًا.

❖ ❖ ❖

رؤية الله تعالى هى الحب الحقيقى

إذا عُرف هذا فأعظم نعيم الآخرة ولذاتها والحب الحقيقى: هو النظر إلى وجه الرب جل جلاله، وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت فى الصحيح فى حديث الرؤية

«فوالله ما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه» وفى حديث آخر: أنه «إذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم فيه من النعيم» .

وفى النسائى ومسند الإمام أحمد عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فى دعائه: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك» وفى كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد مرفوعًا: «كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا القرآن، إذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك».

وإذا عرف هذا فأعظم الأسباب التى تحصل هذه اللذة هى أعظم لذات الدنيا على الإطلاق، وهى لذة معرفته سبحانه ولذة محبته فإن ذلك هو جنة الدنيا ونعيمها العالى، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتفلة فى بحر، فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك فأطيب ما فى الدنيا معرفته ومحبته وألذ ما فى الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الأرواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تتقلب آلامًا وعذابًا ويبقى صاحبها فى المعيشة الضنك فليست الحياة الطيبة إلا بالله.

وكان بعض المحبين تمر به أوقات فيقول: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا، إنهم لفى عيش طيب، وكان غيره يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وإذا كان صاحب المحبة الباطلة التى هى عذاب على قلب المحب يقول فى حاله:

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى
فلا خير فيمن لا يحب ويعشق

ويقول غيره:

أف للدنيـا إذا مـا لم يكن
صاحب الدنيا محبّاً أو حبيبا

ويقول الآخر:

ولا خير فى الدنيا ولا فى نعيمها
وأنت وحيد مفرد غير عاشق

ويقول الآخر:

تَشَكَّى المحبون الصبابة ليتنى
تحملت ما يلقون من بينهم وحدى
فكانت لقلبى لذة الحب كلهـا
فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى

فكيف بالمحبة التى هى حياة القلوب وغذاء الأرواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها والأذن إذا فقدت سمعها والأنف إذا فقد شمه واللسان إذا فقد

نطقه بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح وهذا الأمر لا ق به إلا من فيه حياة وما لجرح بميت إيلام.

المسلم ابنتى المسلمة...

ـذا هو الحب بكل أنواعه المطلوبة والمذمومة أقدم هذه الدراسة النافعة إن شاء الله للشباب من الجنسين وللرجال والنساء أيضا الكبار حتى لا يغتروا بما يسمعون له وما يرونه فإن كنت مستطيعا الزواج فحب من تستطيع زواجها وعجل بهذا الزواج حب امرأتك كما تشاء واجعلها هى الأخرى تحبك بالأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة حب أبناءك وراعى مصالحهم لا تنس أباك وأمك أصحاب الفضل عليك بعد الله تعالى تذكر إخوتك وأخواتك وأعطهم حقهم من البر والبشر وما يحتاجون إليه - حب إلهك ورسولك ودينك.

وأخيرا حب نفسك وانقذها من الهلاك فى الدنيا ـرة باتباعك ما جاء فى هذا الكتاب وانته عما نهاك عنه قرأته فى كتابى هذا.

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتى

والنصح أغلى ما يُباع ويُوهَب

والصلاة والسلام على سائر النبيين

وعلى عباد الله المخلصين

والحمد لله رب العالمين

الفهــرس

الموضــــوع